

مجلة
العاصمة

مجلة بحثية سنوية محكمة
المجلد السابع، ٢٠١٥ م

ISSN (Print) : 2277-9914

ISSN (Online) : 2321-2756



قسم اللغة العربية، كلية الجامعة
تروننتبرم - ٦٩٥.٣٤، كيرالا، الهند

حضور المرأة في مجال العلم: رواية الحديث النبوي نموذجاً

محمد لياء الدين

باحث، قسم العربية، جامعة كالركوت، كيرلا، الهند

التمهيد:

أعطى الإسلام للنساء حقوقها باعتبارها شقائق الرجال، ومكانة مرموقة تليق بها بأجل لعبها دورها الهام في بناء المجتمع الإسلامي وثقافته. والمرأة تشارك في الحياة الزوجية وعمارة البيت وتدير الأسرة وتنشئة الجيل العصري في قالب إسلامي. وبحسب هذه الأمور فرض عليها الإسلام العلم يعني أولاً تعلمه ما تحتاج إلى إصلاح أركان دينها وأمور أسرتها ومجتمعها، وثانياً تعليمه حيث حجرها أول مدرسة البنين والبنات، كما أشار إليه الشاعر حافظ إبراهيم بقوله: "الأم مدرسة إذا أعددتها: أعددت شعباً طيب الأعراق" (١).

جولة المرأة في عصر النبوة عبر مجال العلم:

شاركت المرأة في حضور مجالس الرسول (ص) والسؤال عن أمور دينها، ولم يمنعها الحياء أن تتفقه في الدين. وعند ما شعرت المرأة بحاجة للعلم جئن إلى الرسول (ص) وطلبن منه مجلساً خاصاً بهن فاستجاب كما جاء في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري (٢). وكانت أمهات المؤمنين أزواج النبي (ص) أسوة حسنة لغيرهن في مجال العلم والأدب. ولهن أهمية كبيرة وفضل عظيم في تبليغ الدين ونشر السنة النبوية خاصة بين النساء. تأتي أم المؤمنين عائشة (ر) في ذروة النسوة العالمات في عصر الصحابة وفي مقدمتهن حيث هي أشهر النساء في هذا الميدان فصيحة بليغة فقيهة مفسرة محدثة نابغة في الذكاء، لكونها أبرع الناس في جميع شعب العلوم حتى في الشعر وأخبار العرب وأنسابهم. وهي تعد من ضمن سبعة من المكثرين في الرواية، وتأتي في المرتبة الرابعة من حيث كثرة رواية الحديث النبوي، إذ روت حوالي ٢٢١٠ أحاديث، حتى جاء في بعض الآثار أن عائشة (ر) عندها نصف العلم. وقيل: إن ربع الأحكام الشرعية منقول عنها حيث هي واحدة من أشهر الفقهاء السبع في المدينة. وبالنسبة إلى هذه الأمور كانت مقصد فقهاء الصحابة ومرجعهم عند ما تعسر عليهم بعض المسائل العلمية والفقهية، خاصة فيما يتعلق بجوانب حياة النبي (ص). وقد أخذ عنها العلم حوالي ٢٩٩ شخصاً من الصحابة والتابعين، منهم ٦٧ امرأة (٣). أما أم سلمة (ر) فكانت كما وصفها الإمام الذهبي (ر) من فقهاء الصحابييات، وممن روى كثيراً من الأحاديث عن النبي (ص)، وروى عنها كثير من الصحابة والتابعين بلغ عددهم إلى حوالي ١٠١ منهم ٢٣ امرأة. هكذا تعدد أشخاص الصحابييات والتابعيات اللاتي اشتهرن بالعلم وكثرة الرواية، مثل: أسماء بنت أبي بكر (ر)، وأسماء بنت عميس (ر)، وجويرية بنت الحارث (ر)، وحفصة بنت عمر (ر)، وزينب بنت جحش (ر)، وميمونة بنت الحارث (ر)، وأم حبيبة بنت أبي سفيان (ر)، وصفية بنت حيي (ر)..... ومن إلهم. وفي هذا الصدد نشير إلى بعض النسوة في مجال روايات الحديث اللاتي عاشين في أوائل القرون الثلاثة الهجرية نماذجاً.

١ : هذا بيت في إحدى قصائد الشاعر الكبير الملقب بشاعر النيل حافظ إبراهيم، وهي قصيدة تسمى 'العلم والأخلاق'.

(الموسوعة العربية للمعلومات) <http://ar-encyclopedia.blogspot.com>

٢ : صحيح البخاري، كتاب العلم، باب هل يجعل للنساء يوماً على حدة في العلم؟ ١ / ٧٢

٣ : من مقالة 'الحركة العلمية النسائية تراث غابت شمسه' لمصطفى عاشور.

<http://www.onislam.net/arabic/adam-eve/women-voice/88734-2001-09-13%2017-46-10.html>

التابعيات الراويات في القرن الأول الهجري:

وفي القرن الأول الهجري تعايشت كثير من الصحابيات والتابعيات ممن يروين عن الصحابة. فجميع الصحابة انتقلوا إلى جوار ربهم خلال هذا القرن. وكان آخر الصحابيات وفاة هي أم خالد ابن سعيد بن العاص (ر). وتقول أمال قرداش بنت الحسين: اشتهرت بعض التابعيات في الرواية في القرن الأول - ويمثلن كبار التابعيات. فقد كانت الراويات التابعيات المشهورات قليلا بالمقارنة بعدد الصحابيات. وممن اشتهرن في القرن الأول من كبريات التابعيات: خيرة أم الحسن البصري (ر) مولاة أم سلمة (ر)، وزينب بنت كعب بن عجرة (ر) زوج أبي سعيد الخدري (ر)، وصفية بنت أبي عبيد بن مسعود (ر) زوج عبد الله بن عمر (ر)، وزينب بنت نبيط (ر) زوج أنس بن مالك (ر)، وأم كلثوم بنت أبي بكر الصديق (ر).^(١)

الراويات في القرن الثاني الهجري:

يعد هذا القرن العصر الذهبي لرواية النساء، ففيه أكبر عدد من الراويات، وقد تركزت فيه معظم روايات النساء. وجل الراويات التابعيات في هذا القرن من تلميذات عائشة وأم سلمة (ر) أو من أحد أقاربها من الصحابة. ومن روايات هذه الفترة حفصة بنت سيرين (ر)، وعمرة بنت عبد الرحمن (ر)، وأم الدرداء الصغرى هجينة العالمة الفقهية زوج أبي الدرداء (ر)، وعائشة بنت طلحة (ر)، ومعاذة بنت عبد الله العدوية (ر)، وحفصة بنت عبد الرحمن ابن أبي بكر (ر)، هن تلميذات عائشة رضي الله عنها. وفاطمة بنت المنذر (ر) حيث روت عن جدتها أسماء بنت أبي بكر (ر). هؤلاء هن أعمدة الرواية النسائية الثقات من أواسط التابعيات، وأحاديثهن كثيرة في دواوين العلم. أما صغار التابعيات فهن من روى عن صغار الصحابة ممن تأخرت وفاته. نذكر منهن نبذة مثل: شعثاء بنت عبد الله الأسدية (ر)، وعقيلة الخزارية (ر)، ومغيرة بنت حسان (ر).

الراويات في القرن الثالث الهجري:

هذا القرن هو من أزهى عصور السنة وأكثرها خدمة للحديث، فقد ظهر فيه أفذاذ الرجال من حفاظ الحديث وأئمة الرواية كالبخاري ومسلم وبقية أصحاب الكتب الستة، والإمام أحمد وغيرهم من أصحاب المصنفات، كما دونت فيه الكتب الستة وظهر الاعتناء بالكلام على الأسانيد وتواريخ الرجال والجرح والتعديل، ولم يكن العلماء في هذا القرن يدونون الأحاديث بالنقل من كتب أخرى بل كان اعتمادهم على ما حفظوه عن مشايخ الحديث وعرفوا جيده من رديئه وصحيحه من ضعيفه. وفي هذا القرن لا يأخذ المحدث الرواية إلا ممن عرف وخضع للرواية المقبولة، ولذلك لم يسجل وجود راويات ذوات أسماء لامعة، لأن أصحاب المصنفات قد انتقوا الراويات انتقاء، والمرأة غالبا ما تكون أحوالها مستورة فلا يعلم ضابطها وعدالتها كما هو حال الراوي الرجل الذي يمكن أن يطلع على حاله، لهذا يصعب رصد أعداد كبيرة من راويات هذا القرن. وعند ما نفحص كتب التراجم نجد حضور بعض الأسماء للنساء وإن كانت قليلة، ولكن الراويات اللاتي أخذ عنهن العلم لم يروين إلا قليلا من الأحاديث. ومن أمثلة هؤلاء الراويات: فاطمة بنت الإمام مالك بن أنس، ونفيسة بنت الحسن بن زيد، وخديجة أم محمد ومن إلى ذلك.^(٢)

أعلام النساء بعد القرون الثلاثة الأولى في مجال الحديث:

ازداد عدد الراويات والمسندات خاصة في القرون الأخيرة. ومن أقدمهن المحدثة الشهيرة أمة الواحد بنت الحسين بن إسماعيل المحاملي، والمحدثة من نيسابور جمعة بنت أحمد بن محمد بن عبد الله، والمحدثة المسندة أم الكرام كريمة بنت أحمد بن محمد المروزية الكشميينية. ونجد في كتب التراجم بيانا وافرا لعدة محدثات فاضلات في علم الحديث رواية وتديسا، مثل: بيبي بنت عبد الصمد، وأم إبراهيم فاطمة بنت

^١ دور المرأة في خدمة الحديث في القرون الثلاثة الأولى لأمال قرداش بنت الحسين

^٢ جهود المرأة في نشر الحديث وعلومه للدكتورة عفاف بنت عبد الغفور حميد

عبد الله الجوزدانية، والمعمرة الكاتبة مسندة العراق شهدة بنت أحمد بن عمر الإبري الدينورية، والمحدثه الفاضلة المعمرة مسندة أصهبان عفيفة بنت أحمد بن عبد القادر الفارفانية،..... ومن إلهن. ثم بدأ ميلان النسوة إلى الحديث يضعف بعد القرن التاسع والقرون التي تليه حتى القرن الثالث عشر الهجري.

عناية النساء بالكتب الستة:

لعل أهم ما يميز جهود المرأة بعد عصر التدوين هو عنايتها بكتب الحديث الستة خاصة صحيح البخاري، فلم يحظ كتاب بعد القرآن الكريم بالعناية ما حظيه صحيح البخاري. ويمكن معرفة جهود المرأة في خدمة صحيح البخاري باستقراء كتب التراجم والمشايخات. وقد قام محمد بن عذور بجمع من لعب دوره من النساء في مجال الاشتغال بصحيح البخاري، في كتابه 'صفحات مشرقة من عناية المرأة بصحيح البخاري'. ومن أبرزهن فاطمة بنت عبد الهادي المقدسية المتوفى سنة ٨٠٣ هجرية، والمحدثه كريمة المروزية هي أول امرأة درست صحيح البخاري في القرن الخامس. وفخر النساء شهدة بنت أحمد البغدادي هي أول امرأة استقدمت إلى مصر للتحدث بصحيح البخاري^(١). فالكتب الستة شاهدة على مساهمة المرأة في الرواية وإن كانت ضئيلة جدا بالنسبة للرواة الرجال إلا أن لهذه الروايات قيمة من ناحية مضامينها.

تدريس النساء العالمات كتب الحديث وإجازتهن للعلماء الكرام:

ومن أهم ما يشار إليه هنا أن كثيرا من العلماء الكرام قد أجاز لهم محدثات جليات. وإجازة النسوة بدأت منذ القرن السادس الهجري. ومن المحدثات اللاتي أجزن لمختلف العلماء خديجة بنت أبي سعيد التي أجازت للإمام السمعاني. وكذلك أم إبراهيم فاطمة الجوزدانية، أخذ عنها جماعة من الحفاظ والمسندين، وأجازت للإمام السمعاني بجميع مسموعاتها. وقد أثنى عليها الإمام الذهبي ووصفها بمسندة الوقت^(٢). ومن أشهرهن في القرن الثامن بنت عمر بن أسعد بن المنجا، وقد أخذ عنها الحافظ الذهبي، وبلغ الأخذون عنها ٩٢ نفرا، وستة منهم بطريق الإجازة، والباقي بطريق السماع^(٣). ويحكي الرحالة العظيم ابن بطوطة أنه في رحلته زار المسجد الأموي بدمشق، وسمع فيه عددا من محدثات ذلك العصر، مثل زينب بنت أحمد بن عبد الرحيم، وعائشة بنت محمد بن المسلم الحرائية، وقرأ عليها ابن بطوطة عددا من الكتب^(٤). وقد تفردت بعض المحدثات ببعض الروايات، مثل زينب بنت سليمان بن إبراهيم التي أخذ العلم عنها الإمام تقي الدين السبكي، كما أجازت بعض العالمات المحدثات لعدد من كبار العلماء. فزينب بنت عبد الله بن عبد الحليم أجازت للإمام ابن حجر العسقلاني. وقد أورد الإمام ابن حجر (ر) في كتابه 'المعجم المؤسس للمعجم المفهرس' كثيرا من شيخاته اللاتي أخذ عنهن العلم. أورد السخاوي في موسوعته الضخمة 'الضوء اللامع لأهل القرن التاسع' أكثر من ١٠٧٠ ترجمة لنساء برزن في ذلك القرن، معظمهن من المحدثات الفقيهات.

المصادر والمراجع :

١. الدكتورة عفاف بنت عبد الغفور حميد، جهود المرأة في نشر الحديث وعلومه
٢. آمال قرداش بنت الحسين، دور المرأة في خدمة الحديث في القرون الثلاثة الأولى
٣. الدكتور سعيد عبد الرحمن موسى القزقي، جهود المرأة في خدمة السنة النبوية في القرن السادس الهجري
٤. صالح يوسف معتوق، جهود المرأة في رواية الحديث في القرن الثامن الهجري
٥. موقع أون إسلام : <http://www.onislam.net/arabic/adam-eve/women-voice/>

١ صفحات مشرقة من عناية المرأة بصحيح البخاري للدكتور محمد بن عذور ، ص : ١٤٩ ، ١٦٠ ، ٢٠٥

٢ التحرير في المعجم الكبير للإمام السمعاني، تحقيق منيرة سالم

٣ جهود المرأة في رواية الحديث في القرن الثامن الهجري لصالح يوسف معتوق

٤ من مقالة 'الحركة العلمية النسائية تراث غابت شمسها' (سبق موقعها)